

شرح النحو في علم البدو للإمام النجار

(نظرية النحو المعتمدة على الفعل للحكيم الترمذي)

Mehmet Faruk Çifçi*

خلاصة البحث

الدراسة التي بين أيديكم تتعلق بشرح الإمام النجار طاهر بن أحمد القزويني على رسالة النحو في علم البدو للحكيم الترمذي. وفي هذه الرسالة بعنوان "النحو في علم البدو" نقل الترمذي بعض آرائه المتعلقة بنشأة علم النحو وظهور نظرية الإعراب. وعلى الرغم من خفائها، نظن أن الترمذي قد تأثر في تكوين هذه الآراء بشخصيته الصوفية واتخذ آرائه هذه بطريق الإلهام. منها: استعمال الحركات أولا في أواخر الأفعال وانتقالها منها إلى الفاعل والمفعول، وأيضا ضبط الفاعل بالضممة التي هي أخفى الحركات دلالة إلى الخفاء، وضبط المفعول بالفتحة التي هي تدل على الظهور بما أن المفعول مظهر الحركة التي خرجت من الفعل بشكل كامل، وكون التنوين مستندا للأسماء. وعلى قدر ما استطعنا البحث فيه ما وجدنا أحدا سبقه في إبداء هذه الأفكار. ومن جهة أخرى أن هذه الأفكار في غاية الغموض. ومن حسن حظنا أن يجد الإمام النجار - الذي هو لغوي أيضا - رسالة الترمذي هذه قبل أن تكون مفقودة ويشرحها. وإلا كان من الصعب بل المستحيل جدا أن نطلع عليها.

وقد سبق لنا أن نشرنا دراسة باللغة التركية في هذا الموضوع. ولكن وفقا لضيق المقالة لم نضع فيها نص هذه الرسالة وبعض التفاصيل في ترجمة الإمام النجار وآثاره. ولذلك كانت هنا حاجة للدراسة الثانية. والقسم الأول من هذه الدراسة كترجمة للأول إضافة إلى بعض الأشعار التي قبلت في مؤلفات الإمام النجار وأسماء مؤلفاتها كاملا. والقسم الثاني منها فيها نص الرسالة التي استخرج من نسخة وحيدة وصلنا إليها وتخريج الأسماء والآيات والأحاديث وبعض الشروح لكي يسهل على القارئ فهمه. وبهذا الاعتبار إن دراستنا هذه جزء متمم للدراسة الأولى. وفي هذه الدراسة أيضا تصحيح للخطأ الجاري سهوا في عنوان الرسالة.

الكلمات المفتاحية: الإمام النجار، حكيم الترمذي، نشأة النحو، نظرية الإعراب المعتمدة على الفعل

İMAM EN-NECCÂR'IN ŞERHU'N-NAHV FÎ 'İLMİ'L-BEDV ADLI ESERİ (HAKÎM ET-TİRMİZÎ'NİN FİİLE DAYALI NAHİV TEORİSİ)

Öz

Elinizdeki çalışma Hakîm et-Tirmizî'nin en-Nahvu fi 'ilmi'l-bedv adlı risalesine İmam en-Neccâr Tâhir b. Ahmed el-Kazvîni tarafından yazılan şerh ile alakalıdır. Bu eserinde Hakîm et-Tirmizî sûfî karakterinin de etkisinde kalarak açıkça söylemeye de ilham yoluyla elde ettiğini düşündüğümüz nahvin doğuşu ve i'râbın ortaya çıkışı hakkındaki bazı düşüncelerini aktarmaktadır. Bunlar arasında harenin kelime sonlarında kullanımının ilk olarak fiillerde ortaya çıktığı, daha sonra fiilden fail ve mefulle sirayet ettiği, failin gizliliğe delalet etmek suretiyle en gizli hareke olan dammeyi, mefulün de fiilin hareketini tam anlamıyla üzerinde göstererek açıklığın harekesi olan fethayı aldığı, tenvinin isimler için bir dayanak olduğu gibi daha önce dillendirildiğine şahit olmadığımız fikirler bulunmaktadır. Lakin son derece müphem olan bu düşünceler aynı zamanda bir Arap dilcisi olan İmam en-Neccâr tarafından kaybolmadan önce bulunmuş ve şerhedilmiş olmasaydı bugün onlara ulaşmamız çok daha zor ya da imkânsız olacaktı.

Biz aynı konu ile alakalı daha önce Türkçe bir makale yayımlamıştık. Ancak o makalede sayfa sınırlandırmasını göz önünde bulundurarak Şerhu'n-nahv fi 'ilmi'l-bedv

Makale gönderim tarihi: 01.03.2017, kabul tarihi: 15.05.2017.

* Abant İzzet Baysal Ün. İlahiyat Fak. Arap Dili ve Belâgatı Anabilim Dalı, mehmetfarukcifci@ibu.edu.tr

isimli eserin tahrirli metnine ve şârih İmam en-Neccâr'ın hayatı ve eserleri hakkındaki bazı ayrıntılara yer verememiş, bunları ikinci bir çalışmaya bırakmıştık. Elinizdeki bu Arapça makalenin yazılış gayesi işte budur. Çalışmanın yarıya yakın bölümü ilk makalenin özet tercümesi niteliğinde olup ondan farklı olarak bu çalışmada şarihin eserleri hakkında yazılan şiirlere ve eserlerinin tam listesine yer verilmiştir. Çalışmanın diğer yarısı ise elimizde sadece bir nüshası olan eserin metni, metinde geçen isim, ayet ve hadislerin tahrirleri ve eserin anlaşılmasına yönelik bazı notlardan oluşmaktadır. Bu anlamda çalışmamız ilk çalışmanın tamamıyla aynısı olmayıp onun bir tamamlayıcısıdır. Ayrıca burada, eserin ismiyle alakalı sehven yapılan bir hata tashih edilmiştir.

Anahtar Kelimeler: İmam en-Neccâr, Hakîm et-Tirmizî, Nahvin Doğuşu, Fiile Dayalı İ'râb Teorisi

IMAM EN-NACCAR'S BOOK CALLED ŞERHU'N-NAHV FÎ İLMİ'L-BADV (HAKIM ET-TIRMIDHI'S THEORY OF NAHV BASED ON VERB)

Abstract

This study deals with a commentary written by Imam en-Neccar Tahir b. Ahmad al-Kazvini on Hakim al-Tirmidhi's work named en-Nahv fi ilmal-badv. Hakim al-Tirmidhi, in this work, mentioned his thoughts about the rise of nahv (Arabic syntax) and the emergence of i'râb (a system of special states and signs of Arabic words), he gained these thoughts by inspiration and under his sufi character, that not clearly stated by him. Among these ideas, there are some interesting ones, such as that ending vowel firstly appeared in verbs, then transferred from verb to subject and object; the subject has "dammah" that implies closeness, and the object has "fathah" for its openness, so it demonstrates the movement of verb on itself, and "tanwin" is a basis for names. These ideas had never been mentioned until his time. However, these very ambiguous thoughts, if not were found and commented by Imam al-Naccar, who is also an Arabic language specialist before they had been lost, today it would be very hard or even impossible to find them.

I have published an article in Turkish dealing with the same topic. But, in that article, taking the page limit into consideration, I could not attach the text of Şerhu'n-Nahv fi ilmal-Badv with critical edition and some details about the life and some works of the commentator Imam al-Naccar, so I left them to a second study. The purpose of writing this Arabic article is that. The first half of this study is almost a translation of the first article, differs from it, with covering poems written about the works of commentator and a full list of his Works. The second half of the study is the text of this work depending on a unique manuscript, enclosed with an index of names, verses and traditions and some explanatory notes. In this sense, this study is not the same of the first study, but a complementary one. There is also a correction of a mistake about the name of this risalah.

Keywords: Imam al-Naccar, Hakim et-Tirmizi, The Emergence of Nahv, The Irab Theory Based on Verb

مقدمة الدراسة

إن أبا عبد الله محمد بن علي بن حسن المعروف بالحكيم الترمذي (ت 320هـ/932م) هو عالم معروف بأرائه الصوفية وأيضاً بكثرة تأليفاته في مجالات شتى مثل الفقه والتفسير واللغة.¹ ومن خواصه اهتمامه بالعلل في كل ما اشتغل به من العلوم والموضوعات كما نراه في كتابه "الصلاة ومقاصدها". وقد لمحنا هذه الخاصة أيضاً في رسالته المسماة بـ"النحو في علم البدو".

وهذه هي الرسالة التي لم نجد لها نسخة غير أننا نجد لها شرح الإمام أبي محمد طاهر بن أحمد القزويني المعروف بالنجار. لأن هذه الرسالة أعني "النحو في علم البدو" قطعة من تفسير سورة الفاتحة من تأليف الحكيم الترمذي. وهذا التفسير هو الذي لم يكملها الترمذي ولم يصل إلينا. ولكن القدر الذي استكمل من هذا التفسير كان متداولاً بين العلماء على ما يقوله الحجويري (ت 465هـ/1072م) في كشف المحجوب.² وهذا يؤيد قول الإمام النجار شارح النحو في علم البدو: "وأصل هذه الكلمات من كلام الترمذي في تفسير الفاتحة من تصانيفه. وقد حذف جماعة هذه الرسالة من ذلك التفسير لغموضها."³

إذا يمكننا أن نقول بصراحة إن الحكيم الترمذي بدأ كتابة تفسير القرآن الكريم ولم يكمله. والإمام النجار وجد ما ألفه الترمذي قبل اختفائه وشرح منه القسم الذي كان متعلقاً بظهور النحو في تفسير سورة الفاتحة. ولذلك يعود الفضل هنا في وصول هذه الرسالة القيمة إلى يومنا هذا إلى إمام النجار إضافة إلى شرحه وكشف غموضه على المنهج الذي أبدعه الترمذي. لأننا نعتقد أنه لو لم يشرحه النجار لما استطعنا فهم الرسالة بالضبط لكونها في غاية الغموض أحياناً. وهذا الغموض هو سبب حذف هذه الرسالة من تفسير الحكيم كما أشار إليه النجار.

وفي هذه الدراسة سنتحدث عن هذه الرسالة وخواصها وسنشير إلى الأفكار البديعة فيها التي لم يقل فيها أحد من اللغويين حسب المصادر التي راجعناها. وأخيراً سنتم نشر الرسالة باستخراج الآيات الكريمة والأحاديث النبوية والأسماء التي ذكرت في النص. ولم نغير شيئاً في الرسالة من الخط بقي كما جاء في الأصل على القواعد التي تستعمل في تلك الأيام مثل كتابة "نفايص" و"قايمه" حفاظاً على حرفيتها وأصلها. لأنه لا توجد عندنا نسخة ثانية من الرسالة. وبسبب عدم وجود النسخة الثانية وصعوبة اكتشاف الخط وضعنا نقاط مثل "... حينما لم نستطع قراءة بعض الكلمات.

وإضافة إلى ما قمنا به- لأهميته في تاريخ العلوم الإسلامية وخفاء مكانته العلمية حالياً- أردنا التحدث عن الإمام النجار وأن نعرفه باختصار للفت الأنظار إلى هذا العالم المشهور في عهده والمنسي في وقتنا هذا حتى لا يكاد يعرفه إلا قليل من الباحثين على الرغم من كثرة مؤلفاته البالغ عددها إلى ستين كتاباً. ولذلك نفتح له فصلاً قبل أن نتكلم عن خصائص هذه الرسالة بعنوان "شرح النحو في علم البدو".⁴

التعريف بالشارح الإمام النجار

ولا توجد في بعض كتب التراجم مثل غاية النهاية في طبقات القراء والوفاء بالوفيات ومعجم الأدباء و معجم المؤلفين المعلومات الكافية في حياته إلا اسمه وكنيته وتاريخ وفاته بالتقريب وأسماء بعض آثاره. ولكن صادفنا في كتاب "التدوين في أخبار قزوين" للفقير الرافي عبد الكريم بن محمد القزويني (ت 623هـ/1226م) بحثاً عميقاً كافياً لنا. لأن الإمام النجار قد عاش في عهد قريب منه وكان هناك بعض الناس من العلماء عرفوا النجار وقرأوا عليه العلم والرافعي أخذ منهم كثيراً من أخباره. وأيضاً أنه رأى "رسالة بث الشكوى" للإمام النجار المفقودة حالياً التي تكلم فيها عن أيام دراسته وأساتذته وأخذ منه بعض الأخبار ووضعها في كتابه التدوين. ولهذا نرى هذا الكتاب أوثق المصادر في ترجمة حال النجار.

¹ للتفصيل فيه انظر: حكيم الترمذي، أبو عبد الله، بدو الشأن (في نسخة مع كتاب ختم الأولياء)، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، معهد الآداب الشرقية، بيروت، 1965، ص 18.

² انظر: الحجويري، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب، نشر: إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، مصر، 1974/1394، ص 353.

³ انظر: مقدمة الرسالة.

⁴ لهذه الرسالة وخصالها انظر أيضاً إلى: Mehmet Faruk Çifçi, "İmam En-Neccâr Ve Şerhu Nahvi'l-Bedv Adlı Eseri : (Hakîm et-Tirmizî'nin Fiile Dayalı Nahiv Teorisî)", JassStudies, sayı31, Winter II 2015, ss. 113-133. وكان في دراستنا الأولى المتعلقة بهذه الرسالة المذكورة خطأ في تسميتها. فصححنا إلى "شرح النحو في علم البدو".

والآن نريد أن نقدم المعلومات التي جمعناها متعلقة بشخصية الإمام النجار وآثاره بصرف النظر عن التفاصيل قصدا للاختصار بالمعلومات المهمة والمشيرة إلى مكانته العلمية:

نشأته

هو **طاهر بن أحمد القزويني** المعروف بالنجار. ومن ألقابه: الإمام، بهاء الدين ومجد الإسلام، وكنيته أبو محمد.⁵ ولد سنة 1099/493هـ-1100م ولا نعرف بالضبط مكان ولادته لكنه يغلب على ظننا أن ولادته كانت بمدينة قزوین من مدن دولة إيران قرب مدينة تهران اليوم.

وبدأ الإمام دراسته بحفظ القرآن وتعمق في قراءاته حتى ألف كتابا في هذا المجال مسمى بـ"مجرد قراءة أبي عمرو بن العلاء" وهو صغير السن.⁶ و يؤكد تجرعه في القراءات قول ابن الجزري (ت 1429/833م) فيه: "إمام مقرئ."⁷

وبعد ذلك توجه إلى علوم العربية مبتدئا بالمعاجم وكتب اللغات ومستمر بالكتب الموسوعية مثل أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 889/276م) والإصلاح لابن السكيت (ت 858/244م). ولم يكتف بهذه الكتب وبدأ يحفظ الشعر حتى بلغ عدد الأبيات التي حفظها إلى ألفين.⁸ وله منظوم في العقائد المسمى بـ"عقيدة أهل السنة"⁹ وبلغت فيه النظر مهارته في النظم واضحا. ومنها:

الحمد لله القديم الباري	رب العباد مقدر الأعمار
باتي السماء من الدخان بصنعه	ومبديل الظلماء بالأنوار
متوحد في ذاته وصفاته	متقدس من كل وصف طارئ
في بحر هيئته وتيه جلاله	خرت وتاهت غاية الأفكار
سجدت على عتبات عزته له	جبهات كل مسيطر جبار
والعالم المنظوم يخبر أنه	من صنعه ببدايع الآثار ¹⁰

واستمرت رحلته في تعلم علوم العربية حتى صار لا يشبع بالإيضاحات العادية ووجه جهده إلى علل العربية. فأرشدته أحد شيوخه إلى كتب عبد القاهر الجرجاني (ت 1078-1079م). وبقي عند هذا الشيخ في مدينة ساوه (Sava) من مدن إيران في يومنا مدة ليتعلم منه أصول الجرجاني في النحو.

وبعد ذلك رحل إلى مدينة الري (Rey) والتقى فيها الإمام الزمخشري (ت 1144/538م) وقرأ عليه بعض كتبه وقرأ هنا الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي وكتابي سر الأدب والمصادر للقاضي الزوزني (ت 1093/486م) على الشيخ زاهد أحمد بن محمد التيريزي (ت ؟).¹¹

وإذا أخذنا بعين الاعتبار قراءته القاموس السامي في الأسماء والهادي للشادي في النحو للميداني (ت 1124/518م) على شيخ في مدينة الري أيضا¹² كليهما بالفارسية، نستطيع أن نقول أنه فارسي الأصل. ويؤيد هذا الكلام تأليفه العديدة بالفارسية.¹³

⁵ الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني، التدوين في أخبار قزوین، نشر: عزيز الله العطاردي، 4-1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987/1408، 96/3.

⁶ النجار، طاهر بن أحمد، سراج العقول، (مخطوط)، مكتبة سليمانية، قسم جاز الله، رقم: 137,484 ب.

⁷ ابن الجزري أبو الخير شمس الدين، غاية النهاية، 1-2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006/1427، 307/1.

⁸ الرافعي، التدوين، 97/3.

⁹ ولهذه الرسالة نسخة فقط على ما نعرفه، وهو في مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم لاله لي، رقم: 3701، ورقة: 175-177.

¹⁰ النجار، طاهر بن أحمد القزويني، عقيدة أهل السنة، مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم لاله لي، رقم: 3701، ورقة: 175 ب.

¹¹ الرافعي، التدوين، 97/3.

¹² الرافعي، التدوين، 97/3.

وهو أيضا قد ذهب إلى مدينة تستر (Tüster) ليتعلم الشعر واللغة العربية أيضا من قاضي تستر أبي بكر الأرجاني (عاش بين 460-544هـ/1068-1149م) الذي كان عمره قد بلغ التسعين في تلك الأيام على ما يقوله النجار. وهذا يعني أن النجار كان عُمره حينئذ تقريبا خمسين سنة ولم يكتف بعلمه واستمر الدراسة بصرف النظر عن تقدمه بالسن.

وهو أيضا يقول إنه قد أخذ حظا عظيما من كثير من العلوم مثل غريب القرآن والحديث والتفسير، والفقه وعلم الخلاف، وأصول الدين، والوعظ والتصوف حتى بلغ علمه إلى مستوى تدريس المتخصصين في هذه العلوم.¹⁴

وفاته

وتوفي الإمام النجار في سنة 575هـ/1179م و عمره 82 أو 83 سنة. وكتب في شاهدة قبره: "أعجوبة من عجب الدهر إطباق اللوحين على بحر"¹⁵ مشبهاً ببحر في علمه. ولكن هل توجد علامة لهذا القبر الآن أم لا؟ لسنا على أي علم فيه.

مكانته العلمية

هنا نريد أن نتحدث نبذة عن مكانته العلمية وشهرته بين العلماء في عهده. كما أشرنا إليه من قبل، أنه كان عالما ذا الأجنحة ولكن المادة التي تغلب عليه اللغة العربية إضافة إلى أصول الدين. لأن بعض الأشخاص قد أخذوا منه العلوم العربية وقرؤوا عليه كتاب "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" لأبي أحمد العسكري (ت 382هـ/992م)¹⁶ وهذا الكتاب يتحدث عن الأخطاء التي توجد في روايات البصريين والكوفيين. وهذا موضوع دقيق يصعب تدريسه لمن ليس له معرفة كاملة في اللغة. وأيضا ابن أخي الإمام النجار، محمد بن أبي يعلى (ت 596هـ/1199-1200م) أخذ دروسه الأولى في أدب العرب منه. وهكذا محمد بن حسين بن عيسى البياع قرأ عليه بعض علوم اللغة.¹⁷ وتأليفه في اللغة مثل لباب الألباب في مراسم الإعراب (مفقود)، الوصول والفصول (مفقود)، والنكت (مفقود)، وغاية التعريف في علم التصريف، وشرح النحو في علم البدو كلها تدل على تبحره في اللغة.

وقد كان عالما في أصول الدين وأصبحت آثاره متداولة بين علماء عهده حتى كانوا يمدحونه ويثنون عليه لتأليفه مثل نور الحقيقة ونور الحديقة. وفي مدحه أقوال كثيرة مثل قول الفقيه المعروف والشاعر أبي سليمان أحمد بن حسنية الزبيري (ت 564هـ/1168-1169م) يقول حينما أكمل النجار نور الحديقة:

كتابك نور للحديقة لائح وفحواه نور للحديقة فائح

وذكرك في شرق البلاد وغربها يسير به بالخير غاد ورائح

بقيت لكشف المعضلات موقفا تبينها ما باح بالحق بانح¹⁸

ومنها قول الفقيه والشاعر أبي النجيب عبد الرحمن بن محمد الكرجي (ت 590هـ/1193-1194م):

طالعها فوجدتها غوث الورى عند الحقيقة

يهدى العقول الحقيقة إلى الحقيقة في المجازات الدقيقة

كالوحى أظهر نوره حق الحقيقة للخائفة

فيها أزاهير الرشاد كأنها حقا حديقة

¹³ انظر إلى قائمة تأليفه في آخر كتابه سراج العقول، مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم جار الله، رقم: 484، 137-139.

¹⁴ الرافعي، التنوين، 3/101.

¹⁵ انظر: النجار، طاهر بن أحمد القزويني، حل العيبة عن حال الغيبة، مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة

46 أ.

¹⁶ الرافعي، التنوين، 3/138.

¹⁷ الرافعي، التنوين، 2/58.

¹⁸ الرافعي، التنوين، 3/99.

أوراقها ورق المعارف نورها نور الحقيقة

تحوي نور العلم في أبوار روضتها الأنيقة

وطيورها بالصدق تهتف فوق أغنان وريقة

برزت عروس الحق فيها في غلايلها الرقيقة

فتكشفت عن كل معضلة بألفاظ رشيقة

لا زال صاحبها بها ينجي العقول من المضيق¹⁹

وزرير بن علي الصبغلي الأبهري أبو شهاب الأديب من أهل العلم والأدب كان يقول: لما قرأت هذا الكتاب ونظرت فيه قلت "الله در مصنفه. ما أعذب النفثات فيه". وأنشدت في وصف ألفاظه ومعانيه:

نور الحقيقة بدع في الأعاجيب مؤلف بين تنقيح وتهذيب

ما رتبت مثله في الكتب قاطبة خواطر العجم لفظا والأعاريب

فيه بيان لأحكام محققة باتت معانيه من لغو وتطنيب²⁰

وهذه الروايات وأمثالها تدل على شهرته في هذا العلم وقدرته على التأليف أيضا.

وأما مذهبه وعقيدته فكان شافعيًا في العمل بدلالة قوله "اعلم أن نواقض الطهارة عند الفقهاء من أصحابنا الشافعي أربعة"²¹ وأشعرًا في الاعتقاد حسب تعبيراته في منظومة "عقيدة أهل السنة والجماعة". لأنه يدافع عن أهل السنة على خطيرة الباطنية-الإسماعيلية التي انتشرت في بلدته قزوين وما حولها. ومما يدل على هذا الدفاع رده على داعية من دعاة الباطنية بأثره "بدأ الخلق وتنزيه الحق"²².

وأيضًا له بعض الأقوال التي تدل على أصول وآداب الصوفية عنده مثل: "وأما الذي تكلمنا في بقاء طهره فهو العارف الصادق المجتهد المتورع المهذب بالأخلاق المتفكر ليله ونهاره الذي حسن سمته في الطريقة ورسخت قدمه في الحقيقة، فقد خدم المشايخ ونظر في كلامهم وكان عالما بالشرعية ومعظمها لها"²³.

مؤلفاته

إن الإمام النجار عالم كثير التأليف وبدأ التأليف في صغره. ولكنه اشتمكى من انتحالات بعض كتبه حتى وجد بعضها التي ألفتها نفسه منسوبًا إلى الآخرين. ولذلك كتب أسماء مصنفاته كاملة في آخر كتابه سراج العقول ليكون سجلا لنسبها. وما استطعنا العثور إلا على بعض كتبه ورسائله. وسنورد أسمائها مع شرح يسير.

1- **بدأ الخلق وتنزيه الحق**: ألفتها سنة 570هـ/1175م في مدينة قزوين ردا على بعض أسئلة دعاة الباطنية. وهذه الأسئلة كانت متعلقة بأصول الدين مثل "يقول الله عز وجل إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام. ولم يكن حينئذ مفهوم الزمان واليوم. إذا كيف نفهم معنى هذا الكلام؟" ولهذا الرسالة نسخة في مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة: 3ب-10 أ.

2- **شرح حديث "إنه ليغار على قلبي فاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة"**: ألفتها على طلب بعض المشايخ. ولها نسخة في مكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة: 9أ-11ب.

¹⁹الرافعي، التنوين، 100/3.

²⁰الرافعي، التنوين، 32/3.

²¹انظر: النجار، طاهر بن أحمد القزويني، حل العيبة عن حال الغيبة، مكتبة سليمانية في إستانبول، أسعد أفندي، رقم: 1363، ورقة 172 ب.

²²انظر: النجار، طاهر بن أحمد القزويني، بدأ الخلق وتنزيه الحق، مكتبة سليمانية في إستانبول، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة 3 ب-10 أ.

²³انظر: النجار، حل العيبة عن حال الغيبة، مكتبة سليمانية في إستانبول، أسعد أفندي، رقم: 1363، ورقة 179 ب.

3-شرح التسبيحات المشهورة "سبحان ذي الملك والملوك": قال للنجار أحد الشيوخ إن الناس قد ضيعوا هذه التسبيحات وفيها كثير من الأسرار الإلهية. وأراد منه أن يشرحها. وعلى هذا قام الأمام بتأليفه. وله نسخة في مكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة: 11ب-15أ.

4-شرح النحو في علم البدو: هذا شرح الإمام على رسالة النحو في علم البدو للحكيم الترمذي. سيأتي تفصيله.

5-الياقوت في تسبيح الملك والملوك: وهذا الكتاب يحتوي بعض الأفكار والملاحظات في آية "أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض" في سورة الأعراف 185/7. وله نسخة في مكتبة سليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم: 1316، ورقة: 118ب-136أ.

6- مصفاة الصفات والرد على النفاة: ألفها سنة 572هـ/1176م ليثبت المؤمنين أن صفات الله تعالى عارية من التشبيه والتجسيم وأن يؤمنوا بها على معرفة صحيحة. ولها نسخة في مكتبة سليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم: 1316، ورقة: 1137-1148أ.

7- نور الحقيقة ونور الحديقة: هذا أشهر كتب النجار بين العلماء في عهده. وموضوعه معرفة الله. وله نسخة في مكتبة سليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم: 1316، ورقة: 1148أ-1173أ.

8- حل العيبة عن حال الغيبة: في هذه الرسالة هو يتكلم عن بقاء الوضوء عند الصوفية في حال الوجد والغيبة. وبين فيها أصناف أهل الغيبة وفرق بين هذه الأصناف من حيث نقض الوضوء.²⁴ ولها نسخة في مكتبة سليمانية، قسم أسعد أفندي، رقم: 1316، ورقة: 173ب-180أ.

9-سراج العقول في منهاج الأصول: هذا أكبر كتبه حجما يبحث فيه عن أربعين مسألة مثل "معرفة الله، رؤية الله، الاستواء، خلق آدم عليه السلام، خلق الجنين، الميزان، المعجزة، الكرامة، إلخ. ولهذا الكتاب الذي ألف في سنة 570هـ/1174م نسخة في مكتبة سليمانية، قسم جار الله، رقم: 484، ورقة: 1-80.

10-عقيدة أهل السنة: ألفها منظومة وعبر عن آراء أهل السنة والجماعة بلسان الأشاعرة على قدر ما فهمنا عن بعض تعبيراته مثل "والعبد مكتسب وليس بخالق، أعرض عن القدرية الأعمار". ولها نسخة فقط في مكتبة سليمانية، قسم لاله لي، رقم: 3701، ورقة: 175أ-177أ.

11- الرسالة الواوية: يتكلم فيها عن مكانة حرف الواو في العربية والطب والفلك والهندسة وغير ذلك من العلوم. ولها نسخة في مكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، 68ب-78ب.

12- يواقيت العلوم ودراري النجوم: هذا الكتاب أيضا من مؤلفاته الضخمة بـ 137 ورقة بالفارسية. والنجار فصله ثلاثين باب يتكلم في كل واحد منها عن علم مثل أصول الدين، الفقه، الفرائض، غريب القرآن، النحو والشعر إلخ، وفي كل باب يوجد المسائل المتعلقة بهذه العلوم. وله نسخة في مكتبة جوروم (Çorum) حسن باشا، رقم: 3117.

13- غاية التعريف من أصول التصريف: بعد أن انتشر كتاب النجار الموسوم بلباب الأبواب في مراسم الإعراب في النحو بين الناس في عهده أراد أن يأتي ببديله في علم الصرف وألفه. وفي هذا الكتاب يلفت النظر الانسجام والانتظام وحسن التنسيق بين الأبواب مما يدل على براعته في التأليف. وهذا الكتاب هو الذي عمل عليه لطف الله ياووز (Lütfullah YAVUZ) لرسالة الدكتوراة سنة 2002 في جامعة دوكونز أيلول بإزمير في معهد العلوم الاجتماعية.

إلى هنا تحدثنا عن آثار المؤلف الواصلة إلى يومنا. والآن نذكر رسائله وكتبه المفقودة.

14- الإيماء إلى لفظ ما: ألفه في مدينة همدان. وهذا الذي حصل به على إجازة من شيخه الحافظ أبي العلي.²⁵

²⁴ انظر للتفصيل: سعيد نوري أفكوندوز (Said Nuri Akgündüz) en- (Ebû Muhammed Tâhir b. Ahmed el-Kazvînî Neccâr'ın (575/1179-80) Hallu'l-'Aybe an Hâli'l-Gaybe Adlı Risalesinin Tahkiki", İslam Hukuku Araştırmaları Dergisi، العدد 27، ص، 708-709.

- 15- نقض التعليم و كشف التوهيم:بالعجمية.
- 16- نقض التعاليم: بالعجمية.
- 17- دُخر الخواص في تفسير سورة الإخلاص: فيه نكت.
- 18- مسالك البحث في مدارك البعث: لعله في العقيدة.
- 19- الموازنة بين نجوم الأرض ونجوم السماء في ذكر النبي عليه السلام والخلفاء.
- 20-قوت الروح لأهل الفتوح: فيه رموز وإشارات عجيبة.
- 21- صوان الأدب في لسان العرب: أودع فيه أصول الأسماء والأفعال المتجانسة مترجمة وأصول الأدوات والتصريف والنحو في ثلاث جداول على ترتيب لم يسبق إليه على حسب قوله. وقد شاع نسخته في ناحيته ولكن المعلمين قد مسحوها بالتصحيف وهو يتبرأ منه.
- 22-رفع الخيال عن رؤية الهلال: ألفه لمسألة وقعت.
- 23- حدر اللثام عن الحرف والكلام: بالفارسية. ألفها بمدينة أربيل.
- 24- الاستبحاث عن أحوال الثلاث: يعني حال المتكلمين والنحاة والصوفية.
- 25- شرح تسبيحة الإبدال ومعنى الجمال والجلال:
- 26- الإفادة ترجمة الشهادة:
- 27- مقارنة القضية في مقارنة النية:
- 28- جزء في إبطال القول بوجود العالم: بالفارسية:
- 29- جزء في شرح كلمات مشكلة من قوت القلوب:
- 30- جزء في إبطال أحكام النجوم: بالفارسية:
- 31- لباب الأبواب في مراسم الإعراب: في النحو:
- 32- جملة الحديث عن التذكير والتأنيث:
- 33- الدر المنظوم في التعديّة واللزوم:
- 34- الأصول والفصول والنكّة: مختصر مفيد في النحو:
- 35- البرائقة في التصريف: أوراق لطيفة:
- 36- الفانقة: شرح البرائقة:
- 37- شرح بيتين للمنتبى: يعرف أحدهما تكلمة الهلال في روح تردد في مثل الخلال والثاني نزهة الناظر ونهزة الخاطر.

²⁵ هذا ما قاله لطف الله ياووز الذي أحضر رسالة الدكتوراه على أحد كتب النجار. ولم نجد مصدر هذا القول. انظر: ياووز، لطف الله، *Bahâüddin Ebû Muhammed Tâhir b. Ahmed el-Kazvîni ve Gâyetü't-ta'rif min usûli't-tasrif İsmli Eserinin Tenkitli Neşri*, جامعة دوكونز أيلول بإزمير، معهد العلوم الاجتماعية، رسالة الدكتوراه غير مطبوع، 2002، ص 56.

- 38- المسائل المستدركة من سؤالات القرآن للغزنوي:
- 39- المناهج في علم المخارج:
- 40- مجرد قراءة أبي عمر بن العلاء: وهو أول ما جمعه النجار في صباه.
- 41- تفسير الفاتحة:
- 42- غرر التفاسير ودرر التفاصيل: تفسير قدر عشرين آية من سورة البقرة: أملاه بقروين ولم يكمله بسبب العوائق.
- 43- المراسلات في نسبة الليالي إلى اللآلي: ألفه بمدينة خوي (Khoy) من مدن إيران إلى رئيسها عماد الدين ابن القاندر.
- 44- رسالة الفتوى في قوله تعالى "وألزمهم كلمة التقوى":
- 45- زبدة الأقوال في قوله تعالى "ثم آتينا موسى الكتاب تماما":
- 46- شرح كلمات من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في التوحيد:
- 47- مشاجرة المتعلم من الفقيه والأديب والمتكلم:
- 48- مقامات شتى: ألفها في مدينة ساوة على لسان الفقيه البصري:
- 49- الفاكهة في إعراب الفاتحة: وقد ضاعت نسخته في عهده:
- 50- سلوة الأمراء ونزهة الوزراء:
- 51- شهقة المصلي: ألفه في شخص ينعر في الصلوة. وهو بالفارسية:
- 52- لمحة في النحو: مختصر:
- 53- زاد الزهاد إلى المعاد:
- 54- كتاب في التصوف: لم يكمل.
- 55- مراسلات وقصائد: كتبها إلى القاضي ظهير الدين البسطامي.
- و هذه أسماء الكتب التي سجلها الإمام النجار في آخر كتابه سراج العقول ليكون ك فهرست لكتبه سنة 570 هـ. و هناك بعض كتب ورسائل ألفها بعد هذا التاريخ وهي:
- 56- بهجة القراء في أسرار القراءات:
- 57- البرهان على "إن هذان":
- 58- شرح حديث "أصبحت مؤمنا بالله حقا". بالعربية.
- 59- كتاب الأسئلة العجيبة والأجوبة الغربية: بالعربية
- 60- التلقين في مهمات الدين:
- 61- الإبانة عن معنى الإغاثة:

62- قاعدة النحو على قصر التعليل:

63- جوهرة التصريف على الحروف:

64: الاكتفاء.²⁶

شرح النحو في علم البدو ومحتواه²⁷

كما أشرنا في بداية هذه الدراسة أن "النحو في علم البدو" قسم من تفسير الحكيم الترمذي الذي لم يصل إلى يومنا هذا. شرح الإمام النجار هذا القسم الذي تتعلق بظهور النحو في اللغة العربية من تفسير سورة الفاتحة بقدر وسعه في العربية.

إن هذه الرسالة ذو حجم صغير وقدر كبير من حيث يجد الباحث فيها بعض الآراء التي لم يسبق إليها أحد قبل الحكيم الترمذي. لأن الحكيم يقسم العلم إلى قسمين: علم المتوسط وعلم البدو. والمتوسط هو الذي نقل من عالم إلى آخر ومن الكتب إلى كتب ودخل فيه كثير من الأشياء التي لم يكن في أصل هذا العلم نسميها الشذوذ والنوادر. أما علم البدو فمأخوذ من الأصل مثل علم الأنبياء والأولياء المأخوذ بطريق الوحي والإلهام. وهذه الرسالة التي كتبها الترمذي مكتوبة بهذا النوع من العلم على ما نفهم من قول النجار في بداية الشرح.

أما نسبة الشرح إلى النجار فهذه موثوقة بذكر النجار اسمها في فهرست تأليفاته في آخر سراج العقول: "ومنها شرح النحو في علم البدو من كلام الترمذي"²⁸ إضافة إلى المعلومات التي جاءت في مقدمة الشرح. وأما منسوبة رسالة "النحو في علم البدو" إلى الحكيم الترمذي فله أيضا دليل قطعي. وهو أن يلمح الحكيم إلى كتابه المسمى بـ"علم الأولياء" في أواخر الرسالة.

ولهذه الرسالة المسماة بـ"شرح النحو في علم البدو" لم نجد إلا نسخة فقط. وهذه النسخة التي تتكون من 6 ورقة في مجموعة من كتب النجار توجد في مكتبة سليمانية في إسطنبول، قسم شهيد علي باشا، رقم: 1216، ورقة: 15-20 أ بخط الرقعة. ولم نجد لها تاريخ الكتابة أو الاستنساخ. ولكن يمكننا أن نقول إن النجار ألفها قبل سنة 570هـ/1174م. لأنه ذكرها في فهرست كتبه التي تمت سنة 570هـ.

ومن الآراء البديعة في هذه الرسالة وشرحها:

- كان في البدو آخر جميع الكلمات ساكنة مثل "ضرب".
- أول ما حُركت أو اخرها من الكلمات هي الأفعال. لأن الفعل في نفسه يحمل مفهوم الحركة.
- إن الضمة هي علامة الخفاء. لأنها من الواو والواو يخرج من الشفتين كصوت خفي لعدم اعتماده على المخرج كاملا. ولذلك هي تستعمل في الفاعل والأفعال المجهولة. لأن الفعل قد يقع مباشرة على المفعول. والفاعل يعمل فعله وينتهي ولا يرى أثر هذا الفعل في الفاعل إلا خفيا. ولتجانسه في الخفاء يأخذ الضمة. والفعل المجهول أيضا مثل "ضرب" علامة الخفاء فيه الضمة.
- إن الفتحة هي علامة الظهور لأنها تخرج من الشفتين حينما كان الفم مفتوحا وواضحا لعدم اعتماده على مخرج. وهذا الظهور يبدو أيضا في المفعول. لأن أثر الفعل يكون في المفعول أظهر.
- إن الكسرة هي علامة الميل والعدول من الحال إلى الحال. لأن حروف الجر تميل الكلمات من موضعها في الجملة مثل "سمعت من الشيخ" وتقدير الجملة "سمعت الشيخ". وبحرف "من" عدل كلمة "الشيخ" من المفعولية.
- إن التنوين معتمد ومستند بالنسبة للأسماء. لأن الاسم يبحث عن شيء يعتمد عليه ليقوم مثل الأشياء التي لا بد لها من المعتمد. وهذا المستند إما يكون باللام للتعريف وإما يكون بالتنوين. والأفعال لا تحتاجون إلى أي شيء لقيامها. لأنها متحركة طبعاً لدالتها على الفعل.

²⁶ وهذه الكتب التسعة الأخيرة نقلت أسماءها من رسالة الدكتوراة للطف الله ياوز ص 55-70. ولم نجد لها في أي مصدر دونه.
²⁷ Mehmet Faruk Çifçi, "İmam En-Neccâr Ve Şerhu Nahvi'l-Bedv Adlı Eseri (Hakîm et-Tirmizî'nin Fiile Dayalı Nahiv Teorisi)", Jass Studies, sayı 31, winter II 2015, ss. 113-133.
²⁸ النجار، سراج العقول، ورقة: 140 أ.

عملنا في إعداد الرسالة:

كما أشرنا قبل قليل لم نجد نسخة ثانية لتحقيق الرسالة. ولذلك اكتفينا بتعريف الأسماء وتخريج الأحاديث والآيات الكريمة وشرح الكلمات الغريبة وتصحيح العبارة حينما كنا عند التأكد من الخطأ في الاستنساخ. وعند الشك لم نكتب شيئاً ووضعنا النقاط الثلاثة للإشارة إلى تعقيد الخط والمعنى هناك.

وكتبنا أقوال الحكيم الترمذي بالحروف السوداء والسميكة لنفرك بين الرسالة والشرح. وبعد آخر كل كلمة التي انتهت بها الورقة وضعنا رقم هذه الورقة بين القوسين مثل [1/4، 4/ب].

ونتوقع أن تكون هذه الدراسة مفيدة لمن يعتني باللغة العربية ويبحث عن نكتها ودقائقها والآراء الجديدة فيها ودليلاً لمن يريد البحث عن الإمام النجار والحكيم الترمذي رحمهما الله.

[شرح النحو في علم البدو]

[مقدمة الشارح]

هذا كتاب بيان النحو في علم البدو من كلام الإمام الحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي²⁹ رحمه الله شرحه الإمام الأجل العالم بهاء الدين مجد الإسلام أدام الله كماله على قدر وسعه في هذا العلم. وأصل هذه الكلمات من كلام الترمذي في تفسير الفاتحة من تصنيفه. وقد حذفه من ذلك جماعة لغموضه. فأما النسخة التي صنفها الإمام رحم مذكور فيها على ما نقلته منها حرفاً بحرف. وأظن أنه إلى اليوم ما اعتنى أحد باستخراج معانيها وتركها كذا مهملًا وهو أورد في ذلك جميع أصول النحو وحركات الإعراب على طريق الإجمال. وقد شرحته فإن يسر الله تعالى سأتلوه تلوه وأستخرج عليه جميع أبواب النحو من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والتوابع بابا بابا على الطريق الذي سلكه فيها. والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب في قلوب الأنام بأقلام الإلهام عجائب الحكم وغرائب الكلم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وآتاه من كل شيء وأنعم. والصلوة على نبيه السيد السند المصطفى محمد صلوة متصلة غراها³⁰ إلى الأبد وسلم تسليمًا كثيرًا. [15 / أ]

هذا شرح كتاب النحو في علم البدو من كلام الإمام حكيم الأمة [أعني] أبا عبد الله محمد بن علي الترمذي³¹ رحمة الله عليه. وكان من دأبه في فنون العلم من الفقه واللغة والتفسير والنحو والكلام وعلوم الآخرة أن يرجع في استخراج حقايق المعاني فيها إلى حالة البدو ويقول إن ذلك علم الأولياء. وأما علم عامة العلماء فأخوذ من المتوسط. فلذلك تناقض قواعدهم وتخرج عن أصولهم مسائل يسمونها نواذر وشواذ. وذلك لأن المتوسط متغير بمرور الأيام فاختلف بما ليس منها. وكان في البدو موضوعاً على وفق الحكمة الإلهية لا تناقض فيها مثل ما أوحى على الأنبياء صلوات الله عليهم.

و إنما عنى بالبدو ما روي عن عمران بن حصين³² أنه سأل رسول الله صلى الله عليه «ما بدو هذا الأمر؟» فقال: «كان الله ولا شيء معه ثم خلق العرش»³³. فالأولياء المكاشفون يتبعون العلوم من ذلك المقام على طريق

²⁹ هو الحكيم الترمذي (مات نحو 320 هـ / نحو 932 م) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من آثاره: غرس الموحدين والرياضة وأدب النفس وغور الأمور والمناهي والصلوة ومقاصدها وغيرها. للتفصيل انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، 1-8، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، 272/6.

³⁰ جمع عروة. وهي ما يتمسك به ويعتصم على المجاز. المعجم الوسيط، «عري».

³¹ مر أنفاً.

³² هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد الخزاعي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث وكان إسلامه عام خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح. مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث. (العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، الإصابة في تمييز الصحابة، 1-8، دار الكتب، مصر، 1853، 26/5)

³³ رواه البخاري بلفظ آخر وهو: عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال أقبِلوا البُسْرَى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطينا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال أقبِلوا البُسْرَى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض فنادى مُنادٍ ذَهَبَتْ نَافِثُكُ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ فَانطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَطْعُ ثَوْنَهَا السَّرَابُ فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي

الإلهام وهم المحدثون. وكان في قراءة ابن عباس (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) 34 الآية. وقال النبي عليه السلام «إن في أمي محدثين وأن عمر منهم» 35.

قال الإمام أبو عبد الله محمد رحم: "إنه لما جرى الكلام في البدو على صورة الفعل."

قلت أنا في شرحه: يريد أن جري الكلام على اللسان كجري الإنسان بالأقدام. والجري حركة والحركة شغل مكان وتفرغ مكان. وذلك لا يتصور إلا بالسكون. ولذلك قبل الحركة عن المكان الأول سكوتاً في المكان الثاني. فالحركات والسكنات التي هي الخطوات للماشي قطع فضاء الأرض. كذلك الحروف والكلمات للمتكلم قطع فضاء المعاني غير أن المار من الأرض من جنس الأرض فكان يمروره فيها يفارق محله. إذ هما جسمان. واللسان ليس من جنس الكلام. لأنه جسم والكلام معنى. فكان الكلام يجري عليه بحركاته وسكناته وهو ثابت في محله جامد. وفي التنزيل إشارة إلى هذا المعنى في صفة أشراط الساعة. وهو قوله تعالى: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء» 36. ولهذا المعنى غور 37 يعرفه أهله.

قال الترمذي رحم: "فترجمت الصورة ووضعت لها أسماء فقليل رفع ونصب وخفض."

قلت في شرحه: أراد أنه وضعت لصورة الفعل أسماء. وصورة الفعل هي الحركة. يعني وضعت للحركة أسماء فقليل رفع ونصب وخفض. وذلك أن حركات اللسان إما مرتفعة نحو الشفة العليا وإما منتصبة إلى سطح الفم وإما منخفضة إلى قعر الفم. ولهذا قال رحمه الله فبدو الرفع ضمة الشفتين وبدو النصب الفتحة وبدو الخفض الكسرة. يعني به نطق الفم بنطق النصب وانكساره بنطق الخفض.

قال الترمذي: "فإذا ذكرت فعلا بين اسمين فاحتيج إلى علامة توضح لك الفاعل من أحد الاسمين" كقولك "محمد" فهو اسم موضوع وهو ساكن على صورته التي وضعت كقولك "ضرب" 38 إذا أردت به الاسم ومعنى "الضرب" العسل. فإذا أردت به الفعل أخرجته متحركاً على صورة الفعل. لأن الفعل ذو حركات. فقلت "ضرب" ليكون لفظك به على صورته."

قلت في شرحه: أراد أن الأفعال والأسماء في بدو الوضع كانت سواكن الآخر. لأن أواخرها مواقع الوقف. وصورة الوقف [15/ب] سكون نحو "محمد" و"ضرب". فإذا أرادوا أن ينقلوا لفظ "ضرب" الذي هو "العسل" إلى الفعل الذي هو "ضرب يضرب" أخرجوه متحركاً على صورة الفعل. لأن الفعل ذو حركات. يعني أن الفعل إنما يكون بالحركة. وعلامة كل شيء يكون من جنسه ونفسه. فلما كان الفعل بالحركة اختصت بالحركة بالفعل بدوا فوجب أن يكون الأفعال متحركات دون الأسماء. لأنها حركات في أنفسها. فهذا معنى قوله "أخرجوه على صورة الفعل" وقوله "ليكون لفظك به على صورته."

ثم قال رحم: "ألا ترى أن الجزم هو إسكان الحرف. وإنك إنما تجزم من الأفعال ما لم يكن 39 كقولك "لم يضرب" و كقولك في الأمر "اضرب". فإنك أسكنت الباء لأن الفعل لم يكن بعد. فأخرجت على صورته ساكناً. فلما جنت بفعل قد كان 40 أخرجته على صورته ذا حركات فقلت "ضرب" بحركة الباء."

كُنْتُ تَرَكْتُهُ. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، نشر: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422، ج 9، ص 124، كتاب التوحيد 97، باب وكان عرشه على الماء 22، رقم 7418.

34 سورة الحج 52/22. انظر لهذه الرواية: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، 1-24، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، 423/14.

35 لم نجد الرواية بهذا العبارت غير أنه جاءت في البخاري شبيهها وهي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَأْتُهُ غَمْرٌ بِنُ الْخَطَابِ. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، نشر: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422، ج 4 ص 174، كتاب الأنبياء (60)، باب 54، الرقم 3469.

36 سورة النمل 88/27.

37 يعني معنى خفي ويعيد لا يعرفه إلا من اشتغل بهذا العلم.

38 الضربُ: العسل الأبيض الغليظ.

39 أي: ما لم يحصل و يقع بعد.

40 أي: قد حصل و وقع

قلت في شرحه: هذا بيانٌ دعواه أن الحركة إنما يكون للفعل دون الاسم. لأن الفعل بالحركة تكون. ألا ترى أنك إذا نفيت الفعل بقولك "لم تضرب" انتفى الحركة عن الباء فصار جزماً. والجزم هو السكون فاندتمت الحركة عند اندام الفعل. وكذلك قولك "اضرب" في الأمر. لأن الفعل في حال الأمر لم يوجد بعد. فلم يكن في لفظه حركة. وهذا ظاهر.

قال الترمذي رحمه: "فإذا جمعت بين اسمين وذكرت فعلا ظهرت الحركة في الفعل وتحول الاسمان إلى صورته."

قلت في شرحه: أراد أنك إذا ذكرت بعد الفعل فاعلا ومفعولا فقلت "ضرب محمد زيدا" حركت محمدا وزيدا بالفاعلية والمفعولية وتحول الاسمان إلى صورة الفعل وهي الحركة. مثاله: إنك صببت اللبن في قارورة ثم أفرغته منها إلى قارورة أخرى. أليس ينصبغ القارورتان ببياض اللبن؟

ثم قال رحمه: "فلو أسكنت الحركات كلها فقلت "ضرب محمد زيداً" فأسكنت الباء من "ضرب" و"الدا" من محمد و من زيد لم يعرف الاسم من الفعل ولا الفاعل من المفعول. فحركت قولك "ضرب" على صورة الفعل ليعلم أنه فعل. ثم حركت حركة الضرب في الاسمين فافتحت على الاسمين على صورتها "

قلت في شرحه: هذا بيان ما تقدم. وهو أنك لو أسكنت أوأخر هذه الكلمات لم يعرف الفاعل من المفعول فلم يحصل فائدة الكلام. ولكنك حركت [كلمة] "ضرب" على صورة الفعل أي حركته وانسحبت الفعلية بصورة الحركة على الاسمين جميعا الفاعل والمفعول فصارت الجملة متحركات.

قال الترمذي: "فوجدنا اسم الفاعل⁴¹ قد خرج منه أخفى حركته ووجدنا الضم أخفى الحركات والفتح أظهر الحركات ووجدنا الفعل قد تعدى إلى الآخر فظهر عليه ولزمه. فأعطينا كل اسم حركة عن صورته فضمنا اسم الفاعل لأنه أخفى حركة فعله. لأنه قد فعل وتخلى عنه وخفيت حركته والثاني قد لزمته فضم اسم الفاعل بضم الشفتين وإخراجه على صورة فعله."

قلت في شرحه: أما قوله "اسم الفاعل⁴² خرج منه أخفى حركته" يريد أن الفاعل قد تجاوز عنه فعله إلى المفعول فخفي حركة فعله. [16/أ] إذ تعدى الفعل عنه وتركه خاليا عن الفعل كما تجاوز الشمس عن موضع ويبقى حرها فيه. وإنما انتقلت تلك الحركة إلى المفعول ولزمته ونصبت فيه. وقوله "وجدنا الضمة أخفى الحركات" معنى أنها من ضم الشفتين لا صوت لها لحفائها. وقوله "والفتح أظهر الحركات" لأن الفتحة يكون بفتح الفم. وقد يؤثر بظهورها من الفاعل إلى المفعول ولزمه. وقوله "وأعطينا كل اسم حركة عن صورته" يعني ضمنا اسم الفاعل. لأن فعله قد خفي بعد التعدى عنه والضمة خافية لا صوت لها كما ذكرناه. فتجانسا من هذا الوجه. وأعطينا المفعول صورة المفعولية. لأن الفتحة أظهر مخرجا وأثر حركة الفعل في المفعول ظاهر. فتجانسا أيضا.

قال الترمذي رحمه: "وكذلك قولك "لم يضرب محمد زيدا". فإنما حكي الضرب وهو على صيغته التي ذكرناه. وإنما تنفى الضرب وجرى الإعراب في البدو في اللغة على ما جرى من الفعل."

قلت في شرحه: إنه ذكر أن حركة الفعل تحرك الفعل. ثم تنسحب إلى الفاعل والمفعول جميعا. وهذا يناقض الأول. لأن الفعل قد نفي بحرف النفي. وإذا انتفى الفعل فالمنفي كيف ينسحب أثره على الفاعل⁴³ والمفعول بالحركة. وهو من المشكل الغامض. إلا أن الجواب ما ذكره. وهو أنه محكي عن نفي الفعل. والحكاية عن النفي يقابل الحكاية عن الإثبات. فلما نفي الفعل في قوله "لم يفعل ولم يضرب" انتفت الحركة عن "اللام" و"الباء" وعاد إلى أصل الوضع في السكون. ثم انسحبت حكاية النفي إلى الفاعل والمفعول فبقيا على حركتهما في الإثبات حالة الثبوت. لأنهما محكيان بنفي نفوذ الفعل عن الفاعل ووقوعه على المفعول. فكانا مخبرين بالنفي كما كانا قبل ذلك مخبرين بالإثبات. ولهذا الكلام غور. وهو أن للفاعل مشيئة وفعلا. والمشيئة قد تكون بإيقاع الفعل وقد تكون بترك الفعل. فإنه يصح أن يقول "إن شئت لم أفعل". فإن شاء الفعل وفعله قيل "ضرب محمد زيدا". تنسحب حركة الفعل عليهما بصورة الضم والفتح. وإن شاء ترك الفعل لم يحصل الفعل ولكن ينفذ مشيئة ترك الفعل على الفاعل والمفعول جميعا فكانا باقين على حركتهما من الضمة والفتحة حالة إثبات الفعل. تعلق القدرة بما شاءه فحصلت الحركة التي هي الفعل. ولكن نفوذ المشيئة بترك

⁴¹ يعني باسم الفاعل: الفاعل.

⁴² إن المؤلف يعني ب"اسم الفاعل" الفاعل.

⁴³ في النسخة: علي الفعل. لعله من خطأ الاستنساخ.

الفعل في الاسمين متحقق. فهذا معنى قوله "وجرى الإعراب في البدو في اللغة على صورة ما جرى من الفعل" ما علمه وتأمله.⁴⁴

ثم قال الترمذي رحم: "ألا ترى أنه إذا لم تسم الفاعل فقلت "ضرب زيد" بضم الدال لأنه المضروب وإن كان قد لزمه بعد خفي. ولم يتعدده إلى غيره فيفتح اسم المتعدى عليه، وأخرج الضرب أيضا مضموما على صورته لا صاحب الضرب، فقد خفي باقتران الضرب لضم الشفتين في قوله ضرب".

قلت في شرحه: محصول هذا الفعل هو أنه يستدل على كلامه الأول بأن الفعل إذا خفي في محل تكون حركته ضمة كما يقال "ضرب زيد" فيما لم يسم الفاعل بقي "ضرب" بلا فاعل مذكور. وكذلك المفعول في مجهول الفاعل. [16/ب] إذ قد خفي فعل الفاعل المجهول في "ضرب" وفي "زيد" فلم يبد: مَنْ الضارب؟ فخفاء الفاعلية في "ضرب" و"زيد" أوجب ضمها. لأن الضمة حركة خفية من ضم الشفتين لا صوت لها فتجانست حالها حال خفاء الفاعلية عن الفعل والمفعول. فقبل "ضرب زيد" بضم "الضاد" من "ضرب" وضم "الدال" من "زيد" ولم يلتفتوا إلى كونه مفعولا في المعنى. بل اعتبروا خفاء فعل الفاعل فيه فضموه كما ضم الفاعل من قولك "ضرب محمد زيدا". إذ قد خفي الفعل في "محمد" أيضا لتجاوزه منه إلى "زيد" كما بيناه من قبل.

ثم استشهد الإمام الترمذي رحمه الله على ذلك فقال:

"ألا ترى إلى قولهم "فعل" بضم العين نحو ظرف". وذلك أنهم استعملوا هذا البناء في الأشياء الذاتية التي قد انكمنت فيه الأفعال مثل قولك "كرم" و"كبر" و"ظرف" و"شرف" و"نبه" و"حسب" و"قرب" وأمثالها تستعمل فيما كان الفعل له ذاتي وخلقى طبع على ذلك. فلما كانت الفاعلية في هذه الأفعال كامنة خافية غير ظاهرة ضمت أوساطها وهي عين الفعل. لأن الضم أيضا في ذاته خفي.

وقوله "أخرجوه على صورته مضموما" أي: على صورة الفاعل.

ثم قال رحمه الله: "ثم لما صاروا إلى ما ظهر من الفعل قالوا "فعل" و"فعل" نحو "ضرب" و"سمع". يعني: لما ظهر الفاعل في ذلك. حركوه بحركة الظهور."

ثم قال الترمذي رحمه: فأما الخفض فإنه عدل باسمه عن الفعل فأخرج اسمه على صورة العدول وهو الميل كقولك "جاء محمد بزید". فالمجيء لمحمد وزید كليهما. لأن زيدا قد جاء أيضا. كأنه قال: جاء محمد مجيء زيد. فعدل زيد عن أن يقع به الفعل. وكذلك حكم ساير حروف الخفض مثل "من" و"إلى" و"على" و"عن" لما جنت بها بين الفعل وبين الوقوع بالاسم الآخر بهذه الحروف من الفاعل فعل الاسم معدولا به عن الفعل. فعلى صورة العدول أبرزت اسمه عندما لفظت به.

قلت في تفسيره: قوله "جاء محمد بزید" لا شك أن زيدا جاء معه. فهو أيضا فاعل لمجيئه مثل محمد. لكن دخول الباء عدل به عن صورة الفاعل. فصار معدولا به مصروفا عن جهة ما يستحقه الإعراب ممثلا عنها. وصورة الميل في المحسوس الانخفاض كما يقال "أميل غصن الشجر إلى الأرض" إذا خفضته وكسرتة إلى السفلى. فهذا معنى قوله "فأخرج اسمه على صورة العدل وهو الميل. يعني أخرج اسم الفاعل على صورة الميل وهو الخفض نحو السفلى وحركة الكسرة. وكذلك حكم جميع حروف الخفض مثل "إلى" و"على" و"عن" كقولك "سمعت من الشيخ". والأصل "سمعت الشيخ". فعدل اسم الشيخ من النصب إلى الجر الذي هو صورة العدل والميل. وكذلك قولك "السلام على محمد". فقولك محمد [17/أ] هو المُسَلَّم عليه ومحلّه نصب. ولكن لما عدله حرف "على" عن النصب حركه بصورة العدل والميل وهو الكسر. وكذلك قولك "أعرضت عن فلان" و"مررت بزید". إنما عدل حرف "عن" و"حرف الباء" المفعول عن جهته فحركه حركة العدل، وهو الخفض.

قال الإمام الترمذي: "فالأسماء جارية محفوظة على هذه الصور الثلاث⁴⁵. ضم وفتح وكسر. ثم إذا أشبعت قيل للضم رفع وللفتح نصب وللكسر خفض. ثم صار هذا الرفع في التخطيط والكتابة واوا⁴⁶ والنصب ألفا والخفض

⁴⁴ وعبارة "ما علمه وتأمله" غير واضحة، ويلزمه التعليق. ولعله من خطأ المستنسخ أو فيه حذف.

⁴⁵ في النسخة: الصورة الثلاث

⁴⁶ هذه العبارة جاءت في النسخة: "ثم هذا الرفع في التخطيط والكتابة صار الرفع واوا". ولعله من خطأ الاستنساخ. لأنه لا معنى لها. ولذلك صححناه في النص.

ياء على مثال صورة الناطق. ألا ترى أن الواو في صورة الخط مُدْمَلَجٌ⁴⁷ مدور ملتف بعضه في بعض. فهو في صورة الضم. والألف في صورة الخط ممدود مطيل هكذا كالشيء المنصوب. فعرب شبههما في التعبير لفظاً وفي التخطيط كتابة. والخفض أضعف من هذين. لأنه اسم معدول به عن الفعل. فخفض عند التلفظ كقولك "لقيني غلام زيد". فإنما لقيك الغلام و"زيد" ههنا علامة ليعرف به الغلام فخفض عند اللفظ به في أحد الشدقين كما عدل به عن الفعل ليكون على صورته".

قلت في شرحه: "مقصوده في عمد هذا الفعل إثبات المناسبة بين هذه الأشياء وبين صورة النطق بها".

ثم قال رحمه الله: "إنما قيل ذلك. لأنه لو قال "ضرب" ثم سكت عليه لم يكن كلاماً. فلما قال "محمد" فلو سكت لكان كلاماً إلا أنه مبهم لم يوضح لمن أوقع الضرب. فلما رفع تم الكلام ولم يسقط الاسم فهو مرفوع. وإنما قيل "رفع" لأنه رفع الاسم بما تقدم من الفعل فحرك أو لم يسقط فيصير لغواً. وقيل نصب. لأن الاسم صار قائماً منتصباً بلزوم الحركات."

قلت في شرحه: يقول لو سكت المتكلم على قوله "ضرب" لم يكن كلاماً. فلما قال "محمد" ظهر فاعل هذا الضرب. ولكن ظهوره يكون بحركة الضم حتى يعلم أن "محمدًا" فاعل هذا الضرب. لأنه لو بقي ساكناً ولم يكن مرفوعاً لكان لغواً.

وقوله "وقيل نصب لأن الاسم صار قائماً منتصباً بلزوم الحركة" يعني إنما قيل لحركة المفعول نصباً لأن المفعول قائم منتصب لقبول الفعل الذي لزمه بخلاف الفاعل. فإن الفعل قد تعدى عنه وبقي خالياً ولم يبق عليه إلا اسم الفاعلية.

قال الإمام الترمذي رحمه الله: وأما علة التنوين فإن مذهب القوم في ذلك أن إدخال التنوين للفرق بين الاسم والفعل لكي لا يشبه الإضافة كقولك "ثوب فلان".

قلت في شرحه: يعني به أنه لو لم يكن التنوين فارقاً لاشتبه بالإضافة كما يقال "هذا غلامٌ عاقلٌ" بالتنوين. فلو لم ينون لقرئ "هذا غلامٌ عاقلٌ". أي "غلامٌ رجلٌ عاقلٌ" على حذف الإضافة⁴⁸.

قال رحمه الله: "ولذلك سمي نون الفصل".

قلت: يريد "ولهذا سمي التنوين نون الفصل. لأنه فاصل بين إعراب الاسم وإعراب الفعل".

ثم قال رحمه الله: "وقالوا أيضاً هو نون الصلة. لأنه يصل بين الاسم والفعل. وهذا قول مأخوذ من المتوسط." [17/ب]

قلت في شرحه: معناه أن الأسماء في أصل الوضع ساكنة نحو "محمد، زيد، دار، غلام" وأشباهاها. فإذا أردت أن تصلها بالفعل نحو قولك "زيد قام"، لو لم يكن التنوين كان كالمضاف إلى "قام". ولا يجوز إضافة الاسم إلى الفعل. وقوله "هذا قول مأخوذ من المتوسط" يعني أخذوه مما وجدوه في الاستعمال ولم يأخذوا من البدو وأصل الوضع.

ثم قال الإمام الترمذي رحمه الله في تنمة الكلام: فصرنا إلى الأصل فوجدنا أن الاسم ساكن وكل ساكن إذا أزعجته احتاج إلى قائمة تستقر عليها وقايمته التنوين. فالاسم ساكن خال عن الحركات. فلما أزعجته بالفعل الذي نسبت إليه نصبت له النون قائمة. ثم وصلته بالفعل. ألا يرى أن الفعل لا ينون. لأنه أبداً متحرك فلا يحتاج إلى قائمة فلم يلحق به التنوين.

قلت في شرحه: يقول لما صرنا إلى الأصل وجدنا أن الاسم الساكن إذا حرك لأجل ما نسب إليه من الفعل نحو "زيد قام"⁴⁹ فتعدت حركة الفعل في الاسم فتحرك. فلما تحرك لا بد له من قائمة يعتمد عليه. فإن المضطرب يستدعي مسكناً. فصارت النون قائمة. فلما استقرت على قايمته صلح أن يتصل بالفعل. فصار النون صلة بين الاسم والفعل.

47 دملج الشيء أي: ضمه وسواه.

48 أي: على حذف الإضافة بين رجل وعاقل.

49 في النسخة: تعد.

ومعنى قولنا "نسب⁵⁰ إليه من الفعل" إنما نعني به نسبة التقدير لا نسبة الحصول. وذلك لأن الأسماء على ضربين: معرب ومبني. فأعرب المعربات على تقدير نفوذ الأفعال فيها بالفاعلية والمفعولية والإضافية. فإن معاني الأفعال في المضافات مقدرة أيضاً. فلهذا السبب صارت نون التنوين تبعاً لحركة الإعراب فصارت قائمة للأسماء بعد التمام. لأن حركاتها تجري مجرى الأبعاض لها. والمنكأ إنما يكون زائداً على نفس الشيء فقيل "زيدٌ فرسٌ، دارٌ، شجرٌ". فصارت الأسماء متهيأة لاتصال الأفعال لها نحو "قام زيد". وأما الأسماء المبنية فترى بعضها سواكن على الأصل نحو "من" و"ما" حرك بعضها إما لالتقاء الساكنين نحو "كيف" و"أين" و"ليس" ويضمن معنى الحرف، هو المعنى العام في جميعها الموجب لبنائها، فصارت الأسماء جوامد على حركاتها وحركاتها قائماتها. فلم يحتج لذلك إلى نون التنوين. وقوله "ألا ترى أن الفعل لا ينون لأنه أبداً متحرك" يريد أن حركة الفعل كأنها شيء تنشأ من ذاته. لأن نفس الفعل هي الحركة. فالفعل الماضي بني على الفتح كما بني "كيف" و"أين" فقيل "قام" و"باع" و"شد" و"مد" و"ضرب" و"خرج" اطراداً للباب فلم يحتج إلى قائمة.

والفعل المستقبل إعراباً ضارعت الأسماء في الحال نحو "رأيت زيدا ذاهباً" و"رأيت [زيداً] يذهب. فكانت علته مركبة النفوذ معنى الحال فيه والحال هيئته الفعل. فعمل عمل الفعل. وإنما لا يدخله لأن الفعل بحركته غير متهيء للاتصال بالأفعال [18/أ] كما كان الاسم هناك. لأن الكلام لا يتألف من فعل وفعل قط.

قال الإمام الترمذي رحمه الله: إلا أنك إذا حركت الاسم بالفعل في الإضافة صار منتسجاً بالأفعال فلم يحتج إلى قائمة. لأن الاسم قد وجد معتمداً والأفعال قد أهدقت به كقولك "جاء محمد بن عبد الله". فسببت اسم "محمد" إلى قولك "ابن". ألا ترى أنه لما أدخل على الاسم الألف واللام أقيت النون. لأن الاسم قد تعلق بالألف واللام فلا يحتاج إلى قائمة. وإنما تحتاج إلى قائمة إذا لم يجد مطلقاً يتعلق به أو لم يجد متدرجاً يعتمد عليه. فيكون تلك قائمته. ولهذا صارتا لثلاث متعقبات به لا يجتمعن: الإضافة والألف واللام. كلما جاءت واحدة منهن ذهبت الأخرى لما ذكرنا من شأن النون.

قلت في شرحه: يريد إلا أنك إذا حركت الاسم بالفعل في الإضافة في قولك "جاء محمد بن عبد الله" يعني حركت "دال محمد" لقولك "جاء"، وهو الفعل، وكان "محمد" إذ ذاك في حال الإضافة إلى أبيه. وإضافته إلى الأب يشعر بالانتساب والانتساب فعل. فانتسج اسم "محمد" من الفعلين اللذين أحدهما به كالتوب المنسوج من السدى واللحمة⁵¹ فتحصن بذلك فلم يحتج إلى قائمة. وفي القرآن ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾⁵² ثم استشهد عليه بالألف واللام. وأراد بقوله "متعلقاً" تعلق الإضافة والتنوين نحو "دار زيد". اعتمد "الدار" على "زيد" واعتمد "زيد" على نون التنوين. وأراد بقوله "أو لم يجد متدرجاً يعتمد عليه" الابن في قولك "جاء محمد بن عبد الله". فإن "محمد" اعتمد على المتدرج الذي هو الابن. وكذلك الشيء الذي يتدرج به الاسم إلى غيره. أي يتوصل.

قال الإمام رحمه الله: "وأما الإضافة فإنما أضيف إلى شيء يعرف به. فإذا عرف بالإضافة لم يحتج إلى الألف واللام. وإنما عرف بالألف واللام لأنها إشارة إلى عين الشيء. فلا يحتاج ذلك إلى أن يعرف بالإضافة. وإنما صارت معرفة بالألف واللام لأنه روي في الخبر أن الحروف لما عرضت على الله عز وجل في البدو تطاولن كلها أيها يفضل. فتواضعت الألف ففضل فصارت معرفة عند الله تعالى بتواضعه. فجعلت مفتاح كل اسم⁵³ فصارت فضيلتها بارزة. فإذا فقد شيء بعينه جاء الألف يعرف ذلك الشيء."

قلت: وهذا الكلام ظاهر غير أنه لم يبين وصف اللام مع الألف. وإنما اللازم للاسم المعرف اللام. لأن الألف قد سقط في الراج نحو "ذهب الغلام". وقالت النحاة: التعريف بحرف اللام. ولذلك كان ساكناً. لأنه في مقابلة بنون التنوين وبنون التنوين ساكن كما أن المعرفة تقابل النكرة. وجعلت الألف عماداً. لأن [18/ب] الابتداء بالسكون متعذر. ولأهل الحقائق فيه كلام. وقالوا: سمي لآما لاتسامه بالألف. إن قدم الألف في التأليف دل على التعريف وإن قدم "اللام"⁵⁴ على الألف صار حرف النكرة نحو "لا إله إلا الله".

⁵⁰ في النسخة: نسبت

⁵¹ السُّدَى من الثوب: خيوط نسيجه التي تُمَدُّ طولاً، وهو خلاف اللِّحْمَةِ الواحدة.

⁵² سورة التوبة 30/9.

⁵³ نقله السلمي. نصه: أخبرنا عمر بن شاهين، أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا موسى بن عبيد الله، أخبرنا ابن أبي سعيد قال: حدثني محمد بن حاتم المؤدب، حدثني أحمد بن غسان قال: حدثني حامد بن بونس عن عبد الله بن مسعود قال: عرضت أحرف المعجم على الرحمن وهي تسعة وعشرون حرفاً، فتواضع الألف من بين الحروف فشكر الله له تواضعه، فجعله قائماً، وجعله مفتاح كل اسم من أسمائه. انظر: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، زيادات حقائق التفسير، دار دمشق، بيروت، 1987، ص 7.

⁵⁴ في النسخة: وإن قدم اللام. ولعله سهو من المستنسخ.

قال الإمام رحمه الله: " وأما النون فإنما صارت قائمة من بين الحروف لعلة إلهية عظيمة.⁵⁵ قال "وقد شرحناه في كتاب علم الأولياء."⁵⁶

قلت في شرحه: كتابه الموسوم بعلم الأولياء ما وصل إلي. ولكني أرى أنه يريد به نون التنوين إنما جعلت قائمة والقائمة ما يقوم به الشيء كالأسطوانة يقوم السقف به والعماد يقوم الجسر بها. والقائمة الكلية التي جعلها الله تعالى عمادا لمعارف الأشياء وهو النور. لأن الأشياء كلها على ثلاثة أضرب: محسوس وموهوم ومعقول. وقائمة هذه الأشياء بالنور. إذ المحسوسات تعرف بنور الأحساس الخمسة والموهومات تعرف بنور الوهم الذي يظهر من بين نور الحس ونور العقل. والمعقوليات تعرف بنور العقل والعقل يدرك الأشياء بنور الهداية والتوفيق كما جاء في الحديث «أول ما خلق الله العقل، فخلق به نور الوجودانية»⁵⁷ وفي رواية بنور. وأصل الجميع راجع إلى الله تعالى كما قال ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾⁵⁸ وكما أن نور الهداية مدد لنور الفعل. كذلك نور الشمس والقمر مدد لنور الفعل. فالنور إذا قائمة لمعرفة جميع الأشياء بأسرها. وهو كما قال أمر عظيم بهي ليس وراءه⁵⁹ شيء من العظام وأي مرتبة أعلى منه. وقد قال الله تعالى ﴿الله نور السماوات والأرض﴾⁶⁰ كما قال ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض﴾⁶¹ الآية. فأخبر أن جميع المخلوقات قد قامت به وبنوره. فعلى هذا جاز اختصاص النون في الإعراب بالقائمة حتى يقوم به الاسم من أجل هذه العلة العظيمة وهو أول حرف "النور". وأوائل الحروف من الكلمات تنزل منزلة أصول الغروس من الأشجار. فإنها مباديها. وإذا غرست في مواضع تصير مثل الشجر الأول. ولهذا قال ابن عباس⁶² في حرف من أوائل السور نحو "الم": إن الألف من الله واللام من لطيف والميم من مجيد⁶³ إلى غيرها.

والنون الساكن مخرجها من الخيشوم. وهو أعلى مخرج من مخارج الحروف. ليس فوقه شيء من المخارج. وهو أقرب إلى الدماغ الذي هو محل الفكر. وهو حرف خفي وخفاؤه للطفه ورقته. ومنه الغنة. ولذلك سمي الغناء غناء. لأنها تخرج من الغنة. ولا يخفى أن الأغاني مؤثرات في النفس عند سماعها محركات للطبع مهيجات للقلوب.

والنور والنار من أصل واحد. أولهما نون وآخرهما راء. والراء حرف مكرر في مخرجه ممتد به النفس كذلك النور [19/أ] والنار من أصل واحد ممتدان مكرران إلا أن النور أعلى والنار أعلى. والله أعلم.

هذا ما أوردت شرحه من كلام هذا الإمام في الطريقة التي أبدعها في أصول النحو المأخوذ من علم البدو. تم بعون الله وميّه.

Kaynaklar

ABDULLAH b. ABBÂS, *Tefsîru Abdullah b. Abbâs*, Matbaatu Humeydî, 1280.

⁵⁵ في النسخة: لعلة إلهية عظيمة.
⁵⁶ هذا كتاب من تأليفاته. نشر في القاهرة سنة 1988 بتحقيق سامي نصر لطف. وقد تصفحنا الكتاب المذكور بدقة ولم نجد شيئا يدل مباشرة على هذا الموضوع.

⁵⁷ أقرب الروايات لهذا الكلام جاء في كتاب التعرف للكلاباذي مسندا إلى أبي بكر السباك ونصه: وقال أبو بكر السباك لما خلق الله العقل قال له من أنا؟ فسكت فخلق به نور الوجودانية ففتح عينيه. فقال أنت الله لا إله إلا أنت. الكلاباذي. أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، التعرف لمذهب أهل التصوف، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994/1415، ص 39. ولم أجده في مصادر الحديث بهذا اللفظ.

⁵⁸ سورة النور 40/24.

⁵⁹ في النسخة: "وراه"

⁶⁰ سورة النور 35/24.

⁶¹ سورة الفاطر 41/35.

⁶² هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي (مات في 687 هـ) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كني بابنه العباس. وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة. للتفصيل انظر: عز الدين ابن الأثير، أسد الغاب، 1-6، 1970/1390، 186/3.

⁶³ انظر: تفسير عبد الله بن عباس، مطبع محمددي، 1280 هـ، ص 2.

AKGÜNDÜZ, Said Nuri, “*Ebû Muhammed Tâhir b. Ahmed el-Kazvînî en-Neccâr’ın (575/1179-80) Hallu’l-‘Aybe an Hâli’l-Gaybe Adlı Risalesinin Tahkiki*”, İslam Hukuku Araştırmaları Dergisi, sayı 27, 2016, ss. 691-712.

ASKALÂNÎ, İbn Hacer, *el-İsâbe fî temyîzi’s-sahâbe*, I-VIII, Dâru’l-Kütüb, Mısır, 1853.

ÇİFÇİ, Mehmet Faruk, “*İmam En-Neccâr Ve Şerhu Nahvi’l-Bedv Adlı Eseri (Hakîm et-Tirmizî’nin Fiile Dayalı Nahiv Teorisi)*”, Jass Studies, sayı 31, winter II 2015, ss. 113-133.

HUCVÎRÎ, Ebu’l-Hasen Ali b. Osman, *Keşfu’l-Mahcûb*, İs’âd Abdu’l-Hâdî Kandîl (neşr), el-Meclisü’l-A’lâ li şuûni’l-İslâmiyye, Mısır, 1394/1974.

İBNÜ’L-ESÎR, İzzeddin, *Üsdü’l-gâbe*, I-VI, Dâru’ş-Şa’b, Kahire, 1390/1970.

İBNÜ’L-CEZERÎ, Ebu’l-hayr Şemseddin, *Gâyetü’n-nihâye*, I-II, Dâru’l-Kütübî’l-‘ilmiyye, Beyrut, 1427/2006.

MUSTAFA, İbrahim, vd., *el-Mu‘cemü’l-vasît*, I-II, el-Mektebetü’l-İslâmiyye, İstanbul, ts.

KELÂBÂZÎ, Ebu Bekr Muhammed b. Ebî İshâk, et-Ta‘arruf limezhebi ehli’t-tasavvuf, 2. baskı, Mektebetü’l-Hancî, Kahire, 1415/1994.

NECCÂR, Tâhir b. Ahmed el-Kazvînî, *er-Risâletü’l-vâviyye*, Süleymaniye Kütüphanesi., Şehit Ali Paşa, no.1216, varak 86 - 78.

----- Sirâcu’l-‘ukûl, Süleymaniye Kütüphanesi, Cârullah, no. 484, varak 1-80.

-----‘Akîdetü Ehli’s-sünne, Süleymaniye Kütüphanesi, Laleli, no. 3701, varak 175-177.

----- *Hallu’l-‘Aybe ‘an Hâli’l-Gaybe*, Süleymaniye Kütüphanesi, Esat efendi, no. 1363, varak 172-180.

-----*Bed‘ü’l-halk ve tenzîhü’l-hak*, Süleymaniye Kütüphanesi., Şehit Ali Paşa, no.1216, varak 3-10.

RÂFÎ’Î, Abdülkerîm b. Muhammed el-Kazvînî, *et-Tedvîn fî Ahbâri Kazvîn*, I-IV, Azizullah el-‘Utarîdî (neşr), Dâru’l-Kütübî’l-‘ilmiyye, Beyrut, 1408/1987.

SÜLEMÎ, Ebû Abdurrahman Muhammed b. Huseyn, *Ziyâdâtu hakâiki’t-tefsîr*, Dâru Dimeşk, Beyrut, 1987.

YAVUZ, Lütfullah, *Bahâüddin Ebû Muhammed Tâhir b. Ahmed el-Kazvînî ve Gâyetü’t-ta’rif min usûli’t-tasrîf İsimli Eserinin Tenkitli Neşri*, Dokuz Eylül Ün. Sosyal Bilimler Enstitüsü “Basılmamış Doktora Tezi”, 2002.

ZİRİKLİ, Hayrettin, *el-A‘lâm*, I-VIII, Dâru’l-‘ilm li’l-melâyîn, Beyrut, 2002.